



●● آباء في حاجة إلى مساعدة مهنية

شخصية الآباء وسلوك الأطفال :

إن شخصية الطفل يُكوّنها الجو العاطفى لبيته . وهذه حقيقة تبدو بديهية ، ومع ذلك ، فلقد تعرفنا حديثاً فقط على العلاقة بين شخصية الوالدين وسلوك الطفل . وبعض الممارسات الأبوية صريحة وواضحة ، ويمكن ملاحظتها والتعرف على تأثيرها . وهناك ممارسات أخرى مقنّعة وخفية : يمكن فقط استنتاجها وافتراس أثرها .

وأى كشف للاتجاهات والسمات الشخصية غير المرغوب فيها ستتضمن هؤلاء الآباء المفرطى العاطفة - أو المفرطى الحماية ، أو الحمقى ، أو الغاوين ، أو النابذيين ، أو مفرطى الإخلاص .

آباء مفرطو العاطفة :

مواقف خاصة وسلوك عام :

إن الأطفال الذين لهم آباء مفرطو العاطفة يمكن التعرف عليهم بسهولة ، ونسمعهم ونراهم دائماً . ومنذ الحياة المبكرة قد تعلموا أنهم يجب أن يصرخوا ليستمعوا ، ويتحدثوا بسرعة حتى لايقاطعهم أحد . ويعكسوا بإخلاص اضطراب والديهم . وكثيراً ما لا يعى كل من الأطفال والآباء بعاطفتهم الزائدة وانفجاراتهم الجاهزة دائماً . وعندما يلفت أحد نظرهم لذلك ، فربما يرجعون ذلك لبعض السمات العرقية أو للطبع ، فيقول أحدهم بشيء من الاعتزاز :

-إننى أحمر الشعر ، وأنت تعرف !

أو- إنه أصلى الصعدي !

فمثل هؤلاء الناس ليسوا مزعجين كثيراً ما دامو داخل محيطهم ، ولكن عندما يبدأون الاتصال بالمجتمع الأوسع ، يصبحون مصدر إزعاج . إنهم جدليون ومضيقون للوقت . وهم متحدثون بصوت مرتفع ، ولكنهم لا يجيدون الاستماع ، وهم تهويليون ذوو سلوك ميلودرامي ، ولكنهم غير واعين بأثرهم البغيض .

وربما كان مثل هؤلاء الآباء غير مزعجين بالنسبة للعلاج النفسى ، ولكنهم مزعجون اجتماعياً . وهم فى حاجة إلى بعض المساعدة المهنية لتغيير مواقفهم الخاصة وسلوكهم العام .

آباء مفرطو الحماية :

اهتمام لايلين بالتفاصيل :

الإفراط فى الحماية معناه أساساً الاهتمام الذى لايلين بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالطفل . فمنذ الولادة ومثل هؤلاء الآباء ربما يقلقون بشكل لانهائية له على حياة الطفل . وماهو روتين بسيط لمعظم الآباء يصبح مسألة حياة أو موت لأم مفرطة الحماية . إنها مثل الشخص الذى يقود السيارة وغطاء محركها مفتوح لكى يستطيع ملاحظة المحرك .

فربما تفحص تنفس طفلها عدة مرات فى اليوم ، أو تُعيّر ما يأخذه من طعام ، أو تقيس درجة حرارته ، أو تقلق إزاء نومه . وعندما يقف تحشى أن يقع ، وعندما يركض ، تحشى أن يصاب بأذى ؛ وعندما يصاب بارتفاع فى درجة حرارته تتأكد من اقترابه من الموت .

مثل هذه الأم لا ترحم نفسها فعلاً . فهى لاتتوقف عن فعل أشياء غير ضرورية من أجل طفلها . وما تستطيع أن تفعله من أجله ، لايجب أن يفعله هو لنفسه ، حتى عندما يكون يريد ذلك ويقدر عليه . هذه الأم سوف تُلبسه ملابسها وتطعمه طعامه ؛ ولو استطاعت أن تهضم طعامه بدلاً منه لفعلت من أجله .

باختصار وظيفة الطفل فى كل ما يتعلق بالحياة تأخذها الأم على عاتقها ، والنتائج جالبة للمصائب . فالطفل ينمو ، ولكنه لاينضج . دعنا نقول إنه عاش على ذات

مستعارة ، لقد فشل في تطوير ذاته ، ويبقى طفلاً صغيراً معتمداً على الأم . إنه لا يعرف مشاعره ورغباته هو ، ويفتقد المهارات الاجتماعية الأولية ، وطالما أن أمه هي التي تشكل له عقله ، فإنه لديه صعوبة كبيرة في التفكير . وله تبصر ضئيل في نفسه أو في العالم الذي من حوله . إنه لا يرجع السبب للنتيجة ، ويرتاح للتفسيرات السحرية . ويضيع مثل هؤلاء الأطفال الكثير من الطاقة في صراع دائم بين الاعتماد على الأم ورغبتهم التي يشعرون بها في ضعف للاستقلال الذاتي . إن الآباء المفرطى الحماية يحتاجون إلى مساعدة مهنية إذا كان لأطفالهم أن يصبحوا متمتعين باكتفاء ذاتي .

آباء حمقى :

أطفال كَلْب وكأدوات :

بعض النساء اللاتي يصبحن أمهات يجدن صعوبة في إمداد أطفالهن بعلاقة دائمة ثابتة .

وبالرغم من أنهن قد يستمتعن بشكل لحظي بطفلهن ويلعبن معه وكأنهن يلعبن بدمية ، فهن لا يستطعن حمل عبء الأمومة .

إنهن أنفسهن يحتجن إلى رعاية أمومة ، أو يبحثن عنها في أطفالهن . وبقلب الأدوار وعكسها يطلبن الخدمة والأمان من نسلهن . ويشعر الأطفال بالاضطرار لحمايتها ، وتسلية الأم والقلق عليها . وطالما أنهم غير قادرين على تحقيق مثل هذه المطالب ، فهم يتكون ومعهم مشاعر أبدية بالفشل والقلق . ويكبرون وهم محرومون من الطفولة ، وشاعرون بالذنب ولوم الذات . هؤلاء الأمهات يحتجن للمساعدة في النمو .

آباء سُكاري :

عواصف مفاجئة وهجر دوري :

يتعرض طفل الأب السكّير إلى عواصف مفاجئة غير مفهومة . إنه يشاهد أباه وتغير حالاته وسلوكه بطريقة مخيفة ولا يمكن التنبؤ بها . ويعرف أنه في مثل هذه الأوقات

لاشئ مهم بالنسبة لأبيه مثل زجاجة الخمر . فيشعر بأنه عاجز مهمل .

إن مناظر الحفلات الصاخبة لاتمحي أو تزول بسهولة ، ويرى الطفل رمز أمانه واطمئنانه ينهار أمام عينيه . ويرى أباه أو أمه دائخاً وفاقد الحس ، ضعيفاً كثير الكلام، بكاءً مستبداً ، في عالم يفوق إدراكه أو في غير متناوله . وربما يضطر أيضاً لمواكبة مرض أبيه وغثيانه .

والأب / الأم السكير قد يجب أطفاله جداً ، ولكن بسبب مشاكله الخاصة لايستطيع أن يراعاهم بشكل دائم . مثل هؤلاء الآباء يحتاجون إلى مساعدة مهنية لكي يتغلبوا على مصاعبهم .

آباء غاؤون :

الحاجة إلى احتشام ناضج :

بعض الآباء لايعون أن طفلهم ربما ينظر إليهم بشكل شهوانى وينفعل نحوهم جنسياً . فربما بشكل غير مقصود ، يزيدون حدة حوافر الطفل الجنسية تجاههم . فالأب الذى يخلع ملابسه أمام ابنته ، أو الأم التى تستمر فى تنظيف أجسام أولادها الكبار ينتهان مشاعر وخيالات جنسية . ويسمح بعض الآباء لأطفالهم الكبار بالنوم معهم فى نفس السرير ، وينغمسون فى الملاطفة والتدليل المتبادلين . ويرى بعض الآباء أنه ليس هناك خطأ فى تقبيل الأطفال على الفم واحتضانهم أحضاناً دافئة طويلة .

ويخاطبون أطفالهم وكأنهم محبوبهم ويتتظرون منهم سلوكاً مائلاً . وتحب بعض الأمهات الرقص مع أبنائهن .

إن لمثل هذا السلوك تأثيرات مدمرة على نمو الطفل الجنسى . والفتيات اللاتى لهن آباء غاؤون يملن إلى الانغماس جنسياً مع رجال كبار فى السن ، أما أبناء الأمهات الغاويات فربما تغمرهم النزوات الشهوانية وتدفعهم إلى علاقات جنسية سابقة للأوان وغير ناضجة . وبالعكس ، فربما يخاف البعض من طرق الآباء الشهوانية فيتجنب

الجنس تماماً عندما يكبر ، أو يبحث عن الاكتفاء مع أفراد من نفس الجنس . ويحتاج الآباء الغاؤون إلى علاج نفسى .

آباء نابذون :

الهجر الجسمانى والتبذ العاطفى :

كثير من الآباء لا يمكنهم أن يتخيلوا أمماً تكره رضيعها بالفعل . ويصدمون لأخبار الصحف عن الآباء الذين يسيئون أو يهجون أطفالهم . إن فكرة التبذ الجسمانى للطفل فى حد ذاتها تبدو لاتصدق .

وعلى العكس ، فإن التبذ العاطفى أكثر تفشياً فنجد كثيراً من الآباء لا يوفرون للأطفال الرعاية الضرورية من الحب من أجل نموهم . ويعود التبذ العاطفى إلى مصادر عديدة ، من بينها عدم النضج ، والنجسية ، وعدم الاكتفاء ، وعدم قبول الدور الجنسى .

والتبذ العاطفى له أوجه عديدة . فقد يظهر فى المضايقة المستمرة والمطالبة بالكمال مع الانعزال وعدم الاهتمام . وربما يرتدى أيضاً قناع الاهتمام الزائد والحماية الشديدة . ويحصل الأطفال المنبوذون على رسالة مروعة من آبائهم :

- لاترعىنى بحياتك . اكبر بسرعة واخرج من حياتى . فیرغب مثل هؤلاء الآباء بإزاحة ذريتهم صغاراً وكباراً حتى يخلصوا أنفسهم من الأعمال والالتزامات البغيضة . فيطعموا أطفالهم باستعجال ، ويدربوهم على التبول والتبرز بسرعة ، ويلقوا عليهم مسئولية ، هم ليس وا على استعداد لها ، فيدفعوا بهم إلى استقلال ذاتى قبل أوانه ، ويسيطر على الأطفال الخوف من الفشل والنقد . ويتوقعوا الاتهام واللوم وينشغلوا فى حشد المجادلات للدفاع . ويعيشون وكأنهم فى قاعة محكمة ، حيث يجب أن يبرروا وجودهم نفسه . إنهم قلقون تستبد بهم الهواجس فى إبطال وتحطيم «الآثام» الماضية والتملص من الأخبار المستقبلية حتى إنهم لا يؤدون مهام الحاضر جيداً .

والاستغراق الدائم في الخطر والدفاع يعتبر حملاً ثقيلاً يتركهم متعبين عاطفياً ومستنزفين جسدياً . فلا بد لمثل هؤلاء الأطفال وآبائهم أن يتلقوا مساعدة مهنية ، لكي يحققوا قدراً من السعادة .

آباء مفراطو الإخلاص :

السعادة على طبق من ذهب :

كثير من الآباء ذوى الضمير يحتاجون إلى توعية في تربية الأطفال . فربما يكونون محبين مخلصين ، ولكنهم مُفراطون في ذلك نحو الطفل . فهم عاقدون العزم على جعل طفلهم سعيداً حتى لو قتلهم ذلك . وهم يتصوّرون لتجنب كل إحباط ممكن في حياة طفلهم ، حتى ولو أصبحوا هم ، أثناء ذلك ، حطاماً عديمى الجدوى .

والسعادة ، في أحسن الأحوال ، هدف خادع . إنها ليست نهاية المطاف ؛ إنها سلوك سفر . فالسعادة ليست هدفاً في حد ذاتها . إنها حصيلة ثانوية للعمل ، واللعب ، والحب ، والحياة . والحياة ، بالضرورة ، تستلزم التأخير بين الرغبة والتحقيق ، بين الخطّة والإنجاز ، وبعبارة أخرى : إنها تقتضى ضمناً الإحباط وتحمل الإحباط .

ولسنا في حاجة إلى أن نخطط ، كما أننا لسنا في حاجة إلى تعمد المرض . ولكن عندما يصاب الطفل بالإحباط ، فلا داعى أن يتحطم الآباء . فعندما يبكى الطفل ، فليس من الضروري للأُم أن تلعب أكروبات لإعادة ابتسامته . وفوق كل شيء ، فالأطفال يحتاجون إلى إدارة حكيمة ليست مبنية على الشعور بالذنب أو الاستشهاد .

وعندما يُقابل الطفل المطالب البسيطة والطلبات المعقولة بالدموع ونوبات الغضب ، فمن الأفضل الإصرار على الأداء ومواجهة العاصفة . واسترضاء الطفل لن يصفى الجو . ومع ذلك فإن الشُّحْب ستجلب المطر . وكل ما يستطيع المرء أن يفعله هو انتظار العاصفة لتمر بدون الخروج منها بارد القدمين . والأطفال يكتسبون القوة والأمان من قدرتنا على البقاء رابطين الجأش متوددين .

آباء مطلّقون :

شكل شبيهه بالمودة :

الطلاق مثل البتر ، تجربة مزلّلة للروح لجميع الأطراف . فهي تمثل للآباء نهاية
لعديد من الأحلام والأمال العزيزة . وربما بالنسبة للأطفال تشبه نهاية العالم ، فوسط
مرارة الأسرة المحطمة وارتباكها ، يجب على الآباء أن يختاروا الطريق الأقل ضرراً
لأطفالهم .

وأسوأ ما يستطيع الوالدان أن يفعلاه هو استخدام كل منهما الطفل كسلاح للانتقام
من الآخر . فالمشاعر فجّة ، والفرصة قائمة والإغراء مهول . وربما كان أحد الوالدين
هو الموم وهو المؤذى والمفتري ، وربما يكون الأطفال مجبورين أو مدفوعين لتأييد أحد
الجانبيين في معارك لدودة على الوفاء ، والوصاية ، والمال ، والتعليم ، والزيارات . وأثر
كل هذا على الأطفال يمكن أن يتسبب في كارثة .

وأفضل ما يستطيع فعله الوالدان المطلّقان هو أن يستمرا في أن يكونا والدين بالرغم
من أنهما لم يعودا زوجاً وزوجة . إنها ليست عملية سهلة ، طالما أنها تتطلب شكلاً من
أشكال المودة وسط المرارة والعداوة . ولعل المساعدة المهنية تمكّن الآباء من التعامل مع
أحزانهم بمزيد من الموضوعية ولفعل ما هو أفضل حقاً من أجل أطفالهم . وكما قالت
الدكتورة « ج . لويس ديسبرت » في كتابها « أطفال الطلاق » :

- ربما لم يستطع رجل وامرأة أن يحرزا نجاحاً في زواجهما . لكن يمكنهما أن يحرزا
نجاحاً في طلاقهما . ومع الجهد . . . والحكمة والهداية يمكنهما أن يجعلا من طلاقهما
التجربة الناضجة التي فشل زواجهما في الوصول إليها .

خاتمة

يمكن أن تقوم الحلول الجديدة التي يقدمها هذا الكتاب بتخفيف مهمة الآباء عند تطبيقها على نحو ملائم وبعد حسن انتقاء . فبعض الأطفال لينو العريكة ؛ ويقبلون التغيير في العلاقات وفي الروتينيات بسهولة . وآخرون أكثر تحفظاً ، فيقبلون التغيير تحت إلحاح وبعد احتجاج . وهناك آخرون أيضاً أكثر رجعية : فهم يقاومون عملياً أى تغيير في حياتهم . والتطبيق الحكيم للطريقة الجديدة لن يتجاهل المظهر الأساسى لمزاج الطفل وشخصيته .

وفي العلاقات الإنسانية ، تعتمد الغايات على الوسائل . وتعتمد النتائج على المسيرة نفسها . وتزدهر الشخصية والسمات الفردية فقط عندما تتشرب طرق تنشئة الطفل بالاحترام والمودة . والأمل كبير فى أن الطريقة الجديدة ستخلق حساسية أعمق للمشاعر ، واستجابة أعظم للحاجات فى علاقة المناهدة بين الآباء والأبناء .